

اقتراح مبدئى لإطار عام لمادة «العقيدة والمذاهب المعاصرة»

أ.د. محمد شامة

مدى أهمية تدريس مادة «العقيدة والمذاهب المعاصرة»:

إن هوية الأمة - أى أمة - تقوم على ثقافتها، ووجودها يرتكز على دينها وعقيدها، فكلما حافظ الأفراد على ثقافتهم، وتمسكوا بها وحملوها من النويان فى الثقافات الأجنبية، برزت هويتهم، وتميز كيانهم بين الثقافات، وثبتت أقدام أمتهم بين ركب الأمم، وتسامت هوماتهم فى خضم الأمواج العالية على الساحة الدولية.

كذلك الأمر فيما يتعلق بدينها وعقيدها، فالدين أساس الوجود، ومركز الحياة، فلا توجد أمة بدون دين، ولا يبرز كيان المجتمع إلا بالدين والعقيدة، فهوية الأمة الإسلامية دينها، ووجودها مرتبط بالعقيدة، سلوكاً، وأخلاقاً، وحياة وحضارة. ولا تتحقق لها الحياة الكريمة إلا إذا تربي أبنائها على تعاليم الإسلام، فدرسوا أسس العقيدة وتدريبوا على مواجهة ما يوجه إليها من افتراءات، خاصة فى عصرنا الحاضر، حيث تتسارع الأحداث، وتندفق المعلومات من كل حذب وصوب، مؤثرة فى صياغة الحياة فى المجتمعات الإسلامية. فلو لم يتسلح الشباب للتعامل معها تهتز عندهم المسلمات، ويتشابك فى ثقافتهم الغث مع الثمين، فيتسرب الشك إلى عقولهم. لهذا كان من الواجب عقدياً أن تشمل مناهج التدريس فى الجامعات الإسلامية على هذه المادة، لكى نحمل شبابنا من التيارات الهدامة، ونصون عقيدتهم من التلوث الفكرى المتشتر على الساحة الفكرية فى طول الكرة الأرضية وعرضها، حتى يكونوا قادرين على المواجهة فى كل زمان ومكان.

تاريخ دراسة هذه المادة وحتمية تطويرها:

تلقى المسلمون الأوائل عقيدة الإسلام صافية نقية من وحي السماء فكانوا

على عهد النبي ﷺ يسمعون الوحي فيؤمنون بما أنزله الله على رسوله ﷺ، ويسلمون بنصوص القرآن الكريم دون تأويل أو مناقشة، بل إن رسول الله ﷺ نهاهم عن السؤال عن ذات الله - تعالى - وكتبه، فكان إيمانهم تسليمًا وانقيادًا لما يخبرهم به رسول الله ﷺ عن الله - جل جلاله - . وبعد عصر النبوة اتصل المسلمون بأصحاب الأديان والمذاهب الأخرى في البلاد المفتوحة، فدخلوا معهم في مناقشات حول ذات الله وصفاته، وتسألاته عن علاقة الإنسان بالله، وموقف الإسلام من مسائل لم تكن موجودة في عصر النبوة، مثل : صفات الله، والجبر والاختيار، والقضاء والقدر، وحكم مرتكب الكبيرة، والصالح والأصلح .. وغيرها من المسائل التي تتعلق بالعقيدة.

تصدى المسلمون الأوائل لكل ما أثاره أصحاب الأديان والمذاهب الأخرى، فناقشوه، وحاوروهم، ولم يقتصر عملهم على التصدي لهؤلاء بالمناظرات الشفوية، بل سطوروا ذلك في كتب عديدة زخرت بها المكتبة الإسلامية، فكان إنتاجهم العلمي في هذا المجال مُعبّرًا عن الصراع الفكري بينهم وبين المكابرين والمعارضين للإسلام، كما حتمت عليهم ظروفهم الثقافية والبيئية استخدام أساليب العصر، ومفردات التخاطب في هذا المجال، فمن هذه الكتب:

❖ التوحيد للماتريدي (٣٣٣هـ)

❖ تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار (٤١٥هـ).

❖ الرد الجميل للإلهية عيسى بصريح الإنجيل (٦٠٥هـ).

❖ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٧هـ).

وغيرها من الكتب التي كانت مراجع هامة للدارسين، غير أن هذه الموجة من التأليف توقفت بعد ابن تيمية، اللهم إلا بعض الكتب، التي تناولت مسائل العقيدة والرد على المخالفين والمناوئين بالأسلوب القديم وبذات الموضوعات القديمة، دون تناول ما استجد على الساحة من أقاويل وادعاءات، فأصبح الدارس لهذه المادة محصوراً في هذه الكتب، ودائرته حول الموضوعات والمسائل

التي تناولها السابقون، ويركز على مناقشات مع أناس لم يعد لهم وجود، غير عابئ مما جد على الساحة الفكرية من أفكار ونظريات تتعلق بمسائل العقيدة، ولهذا نقرأ في كثير من الكتب التي تدرس في بعض الجامعات مناقشات مع أناس لم يعد لهم وجود الآن، ومساجلات مع فرق اختفت من الساحة الفكرية، مع غياب المنهج الملائم لمواجهة زنادقة العصر الحديث، وفقدان الأسلوب الذي يناسب المنكرين للتوحيد في ساحة الفكر العالمية في القرن الواحد والعشرين، فضلاً عن أن هذه الكتب تحتوي على مفردات ومصطلحات لا فائدة من استعمالها في المناقشات مع الملاحدة والمناوئين للإسلام في عصرنا الحاضر.

لذا كان لا بد من تطوير منهج دراسة علم التوحيد (أو بالتعبير الحديث : علم العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة) حتى نواجه العصر بأسلوبه ونناقش من يجادلنا بالمفردات اللغوية التي يستخدمها، ونتصدى لتيارات فكرية، وفرق دينية، ومذاهب فلسفية تحاول السيطرة على من يعيش في الحضارة المعاصرة.

الهدف من التطوير:

تكوين الطالب تكويناً علمياً بحيث يكون قادراً على شرح مبادئ العقيدة الإسلامية بأسلوب معاصر، ومؤهلاً لاستخدام أحدث المناهج العلمية في مجال الأبحاث النظرية، ولن يتأتى له ذلك إلا إذا كان مُلمّاً إلماماً كاملاً بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الواردة في هذا الصدد، مع الوقوف على منهج السابقين، كي يستخدم منه ما يمكن استخدامه في هذا العصر، مضيئاً إليه ما يدرسه من تيارات فكرية حديثة، ومذاهب فلسفية معاصرة، وفرق دينية لم تكن موجودة في العصور الماضية.

أقسام المنهج المقترح، ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الإلهيات، والنبوات، والسمعيات بأسلوب عصري، مع تدريب الطالب على قراءة بعض النصوص القديمة، كي يتعود قراءة وفهم

التراث، مع إضافة النقاط التالية:

- (١) الدين ضرورة عقلية.
 - (٢) الوحي والعقل متلازمان.
 - (٣) البعد الإنساني والأخلاقي في الرسائل الإلهية.
 - (٤) الثواب والعقاب الأخروي والديني تقويم للسلوك.
- القسم الثاني:

(أ) دراسة المذاهب التي تناولت العقيدة، مثل :

* الوجودية، الوضعية، المادية، دراسة ما تناولته من الجانب العقدي والرد عليها من وجهة النظر الإسلامية.

(ب) دراسة الحركات والاتجاهات الفكرية التي خاضت في مجال العقيدة، مثل:

* التنوير، العلمانية، العولمة وغيرها من المصطلحات التي تهدف إلى إبعاد الدين عن الحياة.

القسم الثالث:

ما توصل إليه الفكر الإنساني من نظريات علمية، تمس مسلمة عقديّة، وتتعلق بنصوص قرآنية، نذكر منها على سبيل المثال:

(١) أبحاث الفضاء.

(٢) النتائج التي توصل إليها العلم فيما يتعلق بالإنسان، مثل الجينات، نظريات علم النفس، وغيرها مع ربطها بما ورد في القرآن الكريم في هذا الصدد.

(٣) ما ظهر من نظريات تبدو لمن لا علم له بالكتاب متناقضة مع المسلمة الإسلامية، مثل السموات السبع والأرضين في ضوء ما توصل إليه علم الفلك، وكالغيبيات التي أخبرنا القرآن الكريم بأن الله استأثر بعلمها، فحجبها عن الإنسان، في ضوء ما بينته مستحدثات العصر من معرفتها والكشف عنها،

مثل قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسَبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان : ٣٤] ، فقد ذكروا أنهم أنزلوا ما يسمونه بالأمطار الصناعية، وقالوا: إن أطباء التوليد استطاعوا بواسطة أجهزتهم التقنية معرفة ما في الأرحام، ذكراً أم أنثى... وغير ذلك مما هو موجود على الساحة الفكرية العالمية.

هذا تصور عام لمفردات هذه المادة، وسيتلوه إن شاء الله - بيان مفصل للموضوعات التي يمكن أن يدرسها الطالب في المرحلة الجامعية.